الفصل الثاني عشر

الوسائل المالية

الجوائز والمنح

● ومن الوسائل الحديثة لتطوير الخطاب الديني ، رَصْد الجوائز والمكافآت والمنح للمبرزين في المجالات الدعَوية . ولا شك أن لهذه الجوائز والمنح أثرها في تنشيط الدعاة . وقد كان رسول الله ﷺ يرصد الجوائز للمقاتلين ، وهو ما كان يسمَّى «التنفيل» . وقد قال ﷺ : «من قتل قتيلاً ـ من الأعداء ـ فله سَلَبُه»[1] . ومن هنا كانت مشروعية الجوائز . وهي لا تنفي الإخلاص لله تعالى ، طالما كان الباعث الأساسي على العمل هو نيل مرضاة الله تعالى .

● وفي العصر الحديث رَصَدَت الدول جوائز عديدة لتنشيط العمل في الميادين المختلفة : عسكرية وعلمية وثقافية ودينية . ومن المؤسف أن معظم الجوائز ـ وعلى رأسها جائزة نوبل الشهيرة ـ مُنحت لمن لا يستحقونها! وفي السنوات الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحالي كان اختيار أمناء الجائزة هو أسوأ اختيار ، إذْ منحوها لكاتب بريطاني من أصل هندي يُدعى «نيبول» لا لشيء سوى هجومه المتواصل على الإسلام !

– وفي العالم العربي تعرضت الجوائز لعواصف السياسة فانحرفت بها إلى غير غايتها النبيلة . وقد كتب سلامة أحمد سلامة في جريدة الأهرام يوم ٢٠٠٤/١/١٤ يقول : «إن موجة النفاق الكاسح الذي اجتاح الجامعات المصرية في ترشيحاتها لجوائز الدولة أصبحت مصدر فساد وإفساد ، ليس فقط للحياة العلمية والثقافية في

---

(١) موطأ مالك ـ ٢١ كتاب الجهاد ـ حديث رقم ١٩ .

مصر ، ولكن أيضاً للحياة الجامعية . . . » وقد ضاق مجال الرؤية أمامهم : « فلم يجدوا من يستحقها غير كبار المسئولين في مواقع المسئولية التنفيذية أو التشريعية من أمثال . . . » وذكر أسماء بعض رؤساء الوزارة والمجلس التشريعي ، وأظن أن مثل هذا الانحراف موجود في غير مصر أيضاً . وقد تعرضت جوائز الدولة عام ٢٠٠٥ ، لنقد مماثل ، لأنها ذهبت لمن لا يستحقها !

● ونحن نتمنى أن تَسْلم الجوائز المرصودة لخدمة الدعوة والعلوم الإسلامية من تلك الآفات ، وأن تصل إلى من يستحقها ، وأن يصل ثوابها لأهلها الذين ابتغوا وجه الله تعالى برصدها ، لكن أملنا لم يتحقق ، وقد ذهبت معظم الجوائز للنساء ، لأننا نعيش عصر المرأة الأمريكي حتى في مجال الدعوة !

تأليف القلوب

● هل يمكن استخدام تأليف القلوب للدعوة في أيامنا هذه؟

■ أعتقد أن هذا ممكن ، لكن بطرق متطورة . يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة: ٦٠)

- وعرَّف القرطبي «المؤلفة قلوبهم» فقال : «هم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يُظهر الإسلام ، يُتَألَّفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم». «وقيل هم قوم من عظماء المشركين ، لهم أتباع ، يُعْطَوْن ليتألَّفُوا أتباعهم على الإسلام» . وقال رسول الله ﷺ للأنصار : «فإنِّي أُعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفرٍ أتألَّفُهم»[1].

● وبعد انتشار الإسلام ورسوخ بنيانه كدولة ومجتمع ، لم تعد هناك حاجة لتأليف قلوب المشركين : «وأجمعت الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين في

---

(١) القرطبي ؛ الجامع ؛ تفسير الآية ؛ والحديث أخرجه مسلم من حديث أنس .

خلافة أبي بكر ـ على سقوط سهمهم . وقال جماعة من العلماء : هم باقون ، لأن الإمام ربما احتاج أن يستألِفَ على الإسلام»[1].

● وأحسب أن الأمة المسلمة تواجه اليوم ظروفاً شبيهة بظروفها في عهد النبي ﷺ ، من حيث حاجتها إلى تأليف قلوب بعض الأعداء ، من المسئولين الرسميين ومن الصحافيين ، وغيرهم . وهناك المتعاطفون مع المسلمين في أمريكا وأوربا ، وربما احتاجوا إلى الدعم المالي لنشر وجهة نظرهم السلمية المنصفة لنا ولقضايانا . وهناك طرق عديدة لدعمهم دون المساس بكرامة أحد ، والأسماء والعناوين كثيرة ، فليس من الضروري الإشارة إليهم بـ«المؤلفة قلوبهم»، أو تقديم الأموال لهم نقداً .

● والأمثلة عديدة . فالدكتور مراد هوفمان السفير الألماني بالرباط سابقاً ، والذي هداه الله إلى الإسلام منذ سنوات ، يصف لنا الأجواء المعادية للإسلام في ألمانيا ، والتي تسيطر على وسائل الإعلام والقنوات الفضائية . ومن وراء هذا المناخ سبب مهم جداً هو : الكتب المدرسية التي تصب العداء للإسلام في عقول التلاميذ ، استناداً إلى الصور المزورة الموروثة عن الإسلام منذ الحروب الصليبية .

– وقد وصف الدكتور مراد هوفمان تجربة مدهشة قام بها البروفيسور «فلاتوري» ـ مدير أكاديمية العلوم الإسلامية في ميونخ ـ وزميلته البروفيسورة «توروشكا» ـ وهي غير مسلمة ـ إذْ كرس الأستاذان الكبيران عشر سنوات كاملة من سنة١٩٨٥ إلى سنة ١٩٩٥ : «لتحليل ما يمكن أن يجده المرء من معلومات عن الإسلام بالكتب المدرسية باللغات الألمانية والهولندية والإيطالية والدانمركية في مواد الدين والتاريخ والجغرافيا[2].

---

(١) القرطبي ؛ الجامع ؛ (وانظر : كتاب الأموال ؛ لابن سلام ؛ تحقيق محمد خليل هراس ، نشر دار الفكر ؛ ١٤٠١هـ-١٩٨١م ؛ ص ٥٣٧ .

(٢) جريدة الأهرام اليومية في ١٩٩٥/٣/٢٥

- ألا يستحق هذا الأستاذ «فلاتوري» وزميلته جائزة تقديرية ؟ ألا يجب أن يُكرَّم هذيْن العالميْن الكبيريْن في العالم الإسلامي؟ ألا يجب دعمهما لمواصلة جهودهما ، ومتابعة تلك الكتيِّبات والسؤال عن مدى الاستجابة لها؟

● إن ذلك العمل العلمي الكبير تطوير مهم جداً للخطاب الديني بكل ما في الكلمة من معنى . والسلبية تجاهه تقصير في حق ديننا . وأوربا الآن تبحث عن «دين» يقيها شرور الإلحاد والمادية المهلكة . فلماذا لا نقدم الإسلام في صورته الحقيقية؟

الخدمات الاجتماعية

● والتعاون والتآزر والبذل والعطاء والإيثار مبادئ ثابتة وطيدة أكدها كتاب الله تعالى وبيَّنها رسول الله ﷺ بقوله وفعله . ففي الآية الثالثة من السورة الثانية يعلن القرآن الكريم عن ثلاثة أركان للتقوى ، فيقول ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة:١-٣) وتتكرر هذه العبارة القرآنية ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ حوالي عشر مرات في القرآن الكريم[١]. ويرد الأمرُ بالإنفاق وإيتاء الزكاة في العشرات من الآيات القرآنية .

● وفي السُّنة النبوية وردت أحاديث عديدة تبين فضل كافل اليتيم ، منها قوله ﷺ :«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وقال بأصبعيْه السبابة والوسطى[٢]. واستقصاء كل ما ورد في الإنفاق من أحاديث يبعدنا عن موضوعنا ؛ والإنفاق منه الواجب الذي لا ريب في وجوبه ، ومنه المندوب .

● هذه الواجبات الإسلامية هي التي كفلت للمجتمع المسلم التكافل ، والتضامن والتماسك ، في السَّراء والضَّراء . وفي الوقت الحالي ، في بعض البلاد

---

(١) النحل : ٧٥ والبقرة : ٣ والأنفال : ٣ والرعد : ٢٢ وإبراهيم : ٣١ والحج : ٣٥ والقصص : ٥٤ والسجدة : ١٦ وفاطر : ٢٩ والشورى : ٣٨ .

(٢) الإمام البخاري ؛ الأدب المفرد ، دار الكتب العلمية ؛ بيروت ؛ ص ٢٣ .

المسلمة تجري محاولات لتنظيم الإنفاق ، واستغلاله في مواجهة الظروف الصعبة التي يواجهها كثير من المسلمين .

● والخدمات الاجتماعية صورة من صور ذلك التنظيم . ففي القرية الواحدة ـ مثلاً ـ يتم إحصاء أعداد الأيتام والأرامل والعجزة ، وتقدم لهم الخدمات المناسبة من الطعام والدواء والمساعدات المالية ، ورعاية التلاميذ والطلاب وإغاثة المنكوبين في حوادث السير والحريق وغير ذلك من الاحتياجات .

● وتنظيم هذه الخدمات يسمح بنقل الأموال من المناطق الغنية ، إلى المناطق الفقيرة ، وتوزيع المعونات توزيعاً متوازناً ، يمكّن من الاعتماد عليها كدخل شهري ثابت للأرملة وأولادها ، وتكاليف الدراسة للأيتام من ملابس وأدوات ومصروفات ؛ وبدون هذا التنظيم كانت التبرعات توزع عشوائياً ، وتصل إلى من لا يستحقها أحياناً .

● والسؤال الآن هو : أين الدعوة في هذه الخدمات؟

– إن هذه الخدمات المستمرة المنظمة تشعر الفقراء بأنهم أعضاء في أسرة كبيرة متضامنة ، هي الأمة المسلمة ، التي تتبرع لهم دون أن تعرف أسماءهم . ومن هنا ينشأ الولاء لهذه الأمة التي لا تنسى أبناءها . وتقل الجريمة تبعاً لذلك ، لأن الفقير يشعر بالامتنان بدلاً من الحقد ، ويجد من يمد له يد العون ، بدلاً من السرقة . وهذا هو سر انخفاض نسبة الجرائم في العالم الإسلامي مقارنة بالعالم الأول!

● وكانت البعثات التنصيرية قد اتخذت الخدمات وسيلة لجذب الفقراء وتنصيرهم ، لكن الصحوة الإسلامية وضعت حداً لتلك الجريمة في معظم بلادنا العربية .

– يقول المنصِّر «و . رايد» : «إن الوصول إلى المسلمين صعب . . ذلك لأن المسلمين يشكُون في مَن يتبرع لهم (من المنصرين) وَيَعْزُون عمله إلى مَأْرب ما .. إنني أنا (والكلام للمنصِّر رايد) أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح ،

ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة . أنا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية . . ولولا أنني أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده»[1]. بهذه الصراحة أو الوقاحة يكشف الرجل عن غرضه الخبيث .

● فكانت الخدمات الاجتماعية الإسلامية جهداً حميداً في مواجهة التنصير ، وَصَوْناً لدين الفقراء أن يُفْتَنوا عن دينهم . وهي بهذه المثابة تطويراً عملياً فعالاً للخطاب الديني ، فضلاً عن قيمتها الدينية والأخلاقية والاجتماعية .

* * *

(١) دكتور. مصطفى خالدي ودكتور عمر فروخ ؛ التبشير والاستعمار في البلاد العربية ؛ المكتبة العصرية ؛ بيروت ؛ سنة ١٩٨٣م ؛ ص ١٩٣ .